

لم يكن تكريم السيد الرئيس بشار الأسد للمناضلة العربية الجزائرية جميلة بوحيرد، بمنحها وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة تقديراً لنضالها المشرف، مفاجئاً أو مستغرباً في هذه اللحظة الصعبة من تاريخ أمتنا العربية، فقد اختارت سورية ومنذ الأزل، وبمحض إيمان مطلق بإرادة الحياة، أن تكون حاضنة المقاومة وقلعتها الحصينة.

لكن ما الذي يعنيه هذا التكريم اليوم، وما هي دلالاته وأبعاده بالمعنى التاريخي، وما معنى أن تكون جميلة بوحيرد في دمشق؟...

لقد وقفت المرأة العربية وعبر أزمته مختلفة، إلى جانب الرجل في نضاله وكفاحه في بناء ثقافة الدفاع عن الحياة والوجود - ثقافة المقاومة - باعتبارها تجلياً للحب بمعناه الواسع، حب الحياة، الكرامة، إيمان الإنسان بحقه في الوجود في أي مكان. وإذا كان الماضي البعيد يذكر لنا الكثير من الروايات والأحداث حول دور المرأة في المقاومة والدفاع عن الحق والوجود، كما عرفنا في تاريخنا.. فإن نساء اليوم يواصلن ذلك الدور وبعبء لا حدود له، وربما نتذكر باعتزاز نضال المرأة العربية التي كانت تحارب جنباً إلى جنب مع الرجل، وكيف كانت بعض النساء يعملن على تضميد الجرحى ويزودن المقاتلين بالماء والطعام، أو يقفن خلفهم مشجعات بأناشيد الحماسة التي تشد العزيمة وتبعث القوة في النفوس... واليوم نراها في ميادين مختلفة، تقف في مواجهة العدوان، وتستقبل الشهداء بالزغاريد لا بالدموع، مؤكدة على البقاء والصمود مهما كان الثمن غالياً.

إن تكريم السيد الرئيس للمناضلة جميلة بوحيرد واستقباله لها في دمشق، هو تقدير كبير للقيمة التي أسست لها، واعتراف بالدور الريادي والنهج الذي رسمته بوحيرد عبر مسيرتها النضالية في حركة المقاومة العربية... فالسيدة بوحيرد التحقت في العشرينيات من عمرها بالعمل الفدائي وكانت المطلوبة الأولى للاستعمار الفرنسي، وحين ألقى القبض عليها عام ١٩٥٧ بعد إصابتها برصاصة في الكتف، تعرضت لكل أنواع التعذيب كي تشهد ضد زملائها في المقاومة الجزائرية، لكنها وقفت وبصمود أسطوري لتواجه حكم الإعدام الذي أصدره الفرنسيون ضدها، والذي خفف فيما بعد وتحت ضغط ورد فعل دولي غاضب إلى السجن المؤبد، فقضت منها خمس سنوات ليطلق سراحها عام ١٩٦٢ بعد استقلال الجزائر.

التكريم بمعناه ودلالاته الكبرى هو تكريم للمرأة العربية المناضلة مجسدة بالسيدة بوحيرد التي اقتفت أثرها فيما بعد نساء مناضلات، كانت أمثلة لها في البذل والعطاء، وستتذكر طويلاً أسماء: دلال المغربي، سناء محيدلي، حميدة الطاهر، لولا عبود، زهر بوعساف... وسواهن اللواتي قدمن دروساً لا يمكن نسيانها في المقاومة والصمود والشهادة، اليوم يمتد شلال الدم والتضحيات من جنوب لبنان إلى غزة لنرى كفاح المرأة العربية الذي يعد امتداداً لما قدمته جميلة بوحيرد، وترجمة لخيارنا التاريخي في دعم المقاومة والدفاع عنها.

إن النضال والكفاح في سبيل الوطن، والموت دفاعاً عن الأرض والحرية والكرامة والوجود، هي أسمى وأرفع أشكال العطاء، وتكريم المناضلين هو إعلاء وتشريف لهذه القيم الكبرى.

جميلة بوحيرد في دمشق فاديا جبريل